مجموعة الرسائل

الزميل المستشرق الجزري عبد الكريم جرمانوس
في ذمة الله

عيسى الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد اكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبأ في جريدة (البعث) الدمشقيّة الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقّا ، وانسانا طيّب القلب ، عالِمًا ، مُحبًّا لاصدقائه ومخلصا لهم .

أول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كُتِبَ هو الـيّ اولًا ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسَعَى لاجل زيارتي للمجر ؛ ونجح مسعاه، فزرتُ المجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت بلقائه ، وأَنِسْتُ بمجالسته وتبادُل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتَفَضَّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قَدَّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدَّمني كذلك الى الجمهور في أحد الاندية الثقافية في بودابشت ، حيث القيتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية) . واكرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرينته الحاجة عائشة .

ولـم ينقطع تبادُلُ الرسائل بيننـا بعد ذلك . وآخرُ رسالة تلقيتها منه تحمل تاريـخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنهـا .

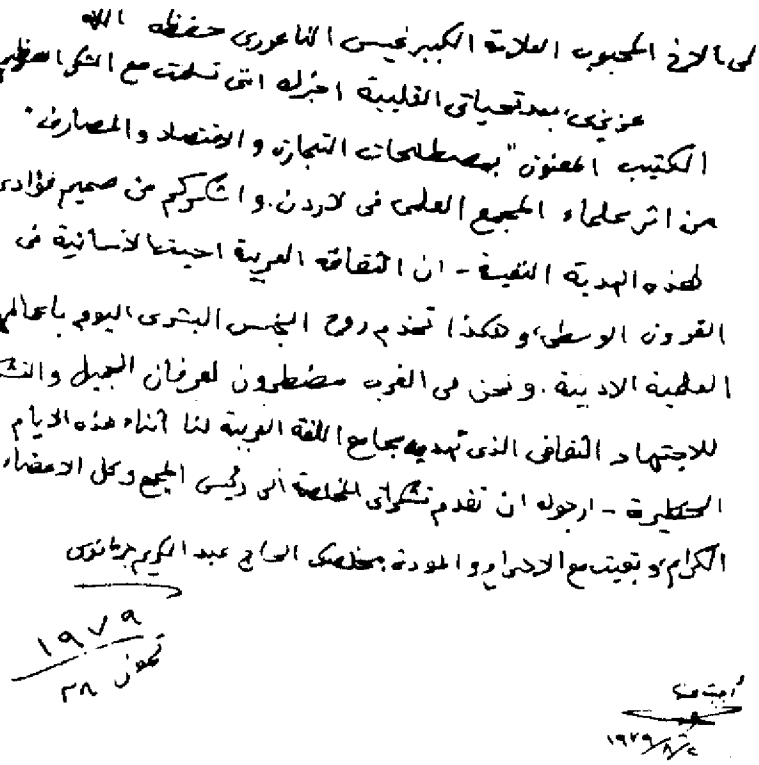

وقـد رَدَدْتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكانتا بالرسالتين تبادَلْنا تحيـةَ الوداع الاخير .

كـان المرحوم جرمانوس عضوًا لمجامـع دمشق وبغداد والقاهرة ، الى جانب عضوية المجمـع العلمي المجريّ،وعدد من المجامع العلميـة العالمية الاخرى . وحين علـم باننا في الاردن ايضا قد انشانا مجمعـا للّغـة العربية ، سُرَّ لذلك كثيرا ؛ وحينَ مَنَحَهُ المجمـع عضوية شرفه فيه ، أعتَبَر ذلك مَجْدًا كبيرا لـه يُختتم بـه عمره المديد ؛ واهتمّـت بذلك صحف المجـر ومجلّاتها ومحافِلُها العلمية والادبيـة .

والعجيب في جرمانوس انـه كان ، رغم تمادي العمر ، كثيرَ الحيوية والنشاط : يقـرا ، ويكتب،ويؤلف ، ويترجم ، ويسافـر ، ويراسل اصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنـه الشبان . واذكر انني

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلـغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان بُدِينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقـد كنتُ ، حين أرافقه في طريق ، أُضطَرُّ الى الجَرْي لكـي استطيع مسايرةَ مشيته الشبابيّة السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعُد قبـل سنة واحدة فقط من معهـد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لـي ساخرًا وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنـت « شابا صالحا للعمـل » ... والآن صرت في نظر الناس (هَرِمـًا) لا اصلح لشيء ...

وبعـد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عـام ١٩٧٤ ، كـان جرمانوس قد بلـغ التسعين من عمره ؛ فَكَرَّمَـه أصدقاؤه وتلاميذُه من علماءِ بلـده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حـول العالَـم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المَجَـريّ الاصلي ، وقد استبدل بـه بعد اسلامه اسم الحاج عبـد الكريـم جرمانوس . وكذلك زوجتـه السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشـة) ، وحَجَّت مع زوجهـا الى الديـار المقدسة، وكرَّسَت حياتَها معه لخدمـة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلاميـة .

ولـد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينّـا ، وليبتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نـال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعـة بودابشت في اللغـة التركية وآدابها، وفي اللغـة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغـات الشرقيّة المستشرق المَجَـريّ الشهير إينياس غولـد تزيهـر .

وفي سنة ١٩١٢ عُـيِّن مُدَرِّسا في اكاديمية التجـارة الشرقية ، ثـم اصبح مدرّسا في كلية الاقتصاد منـذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عـام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهنـد الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بانشاء قسـم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرّس فيه الى سنة ١٩٣٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادّى فريضة الحج ، وشاء أن يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (اللّه اكبر) الذي طُبع سنة ١٩٣٦ بالمجريّة ، ثم لم يلبث ان تُرجم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيّن استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعلمه ، منحه الكثير من المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة او عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيّن عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيّن عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيّن عضوَ شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيّن عضو شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيّن عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعُلِيكَرْه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، ودلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلمية فاكثر من ان تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات وبحوث ودراسات ؛ وقد كُتِبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسير سرد ثَبْت بجميع مؤلفاته وبحوثه بمختلف اللغات ، فسأقتصر هنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية وحدها ، وهو :

١ ــ بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦٩م.

٢ ــ حماية فلسفة التشريع الاسلامي ــ الاصالة / الجزائر ١٩٧٤م.

٣ ــ الاسلام كدين عالمي ــ ١٩٧١م.

٤ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية ــ ١٩٧٢م.

٥ ــ نهضة الادب العربي ــ ١٩٧٥م.

٦ ــ النظرة الاسلامية الى الحياة ــ مجلة رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة .

٧ ــ الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد ــ مجلة قافلة الزيت / الظهران ١٩٧٥م.

٨ — ذكريات عن الحـــج — ١٩٦٩م.

٩ — دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلـــة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠— عباس محمود العقاد — الاصالة / الجزائـــر ١٩٧٧م.

وعـــدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلـــة المقتطف وغيرهـــا في مصر .

ولقـــد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابـــة سيرتـــه وجولاته في البـــلاد العربية والاسلامية . وذكر لـــي في بعض رسائله الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصـــدر كتابا باللغة المجرية عنوانـــه : "Az Arab Irodalom Tortenete تَحَدَّث فيه عمـــا رآه في البلاد العربية، وعَمَّن عرفهم من اعـــلام الادب والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البـــلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا حافلا للفترة التي عاشـها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيـــل الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاســـلام الذي كان قد اعتنقه منـــذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكـــان من دواعي اعتزازي ان يتحدّث عني المؤلـــف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهـــم صورة لـــي وجزءا من احدى رسائلي اليـــه .

والآن وقد مضى الشيخ والمعلـــم الجليل الحاج عبد الكريـــم جرمانوس ، فان مجمع اللغـــة العربية الاردني ليبعث الى روحـــه الطاهرة باطيب التحيـــة ، معربا عن الاسف العميق لفقـــده .

رحمـــة اللـــه عليـــه .

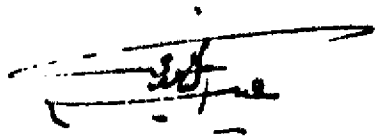

فقيد العربية

الأستاذ عباس حسن

(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

نَعَى مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي (ابريل سنة ١٩٧٩) ، الى علماء العربية ورجالها ، **الاستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والاستاذ السابق بدار العلوم** ؛ اختَطَفَه الموت وهو في أوج نشاطه الجسمي وقمة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوما عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، والاخيرة منها كانت قبل وفاته باسابيع قليلة ، كما انه لم يتغيَّب عن شهود اجتماعات اللجان المجمعية المتخصصة ، وآخرها — كما نُمِي اليّ — كان قبل بضعة ايام من لقائه وجه ربه الكريم .

كـــان الفقيد ، رحمه اللـــه ، **من اركان الدفاع عن لغـــة القرآن ، الذائدين عن الفصحى وسلامتها** ؛ كما كـــان في طليعة المناضلين عـــن قواعد النحو الاصيلة ، ومِنْ اصلبهم عودا في ردّ هجمات المتخفّين منهـــا ، وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالي بحُجَجهم ولا يقيم وزنـــا لذرائعهم ، ولـــو ادى الامر بـــه الى شيء من اللَّدَد .

كـــان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن قدسيّة المتـــون ـــ وقد آمن بها ـــ ونَذَرَ نفسه لخدمتها،وتجديد عرضهـــا على من يطلبها ؛ شديد الكُرْه للنظريات المستحدثة باسم **«علم اللسانيات»** ، يدحض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبيسَها باللغـــة العربية ، ولا يُحجم احيانا عن وصـــف ادعاءات بعضهم الغيرةَ على العربية ، **بانها سُتـــور للتغريـــب والتهديـــم** .

دخـــل الفقيد الساحة ، والمعركة محتدمة بين انصار العربيـــة وخصومها ، وكان مع اهـــل اليمين،وسلاحه ، ككثير من المناضلة ، ايمانٌ بالعربية لا حدّ لـــه ، وعلمٌ بأصولها وقواعدها قـــلَّ نظيرُه ، وخبرةُ ايـــام خلت ، امضاها في نقـــل هذا العلم الى طالبيه مـــا استطاع ، وغرْسِ ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبّلـــوه .

واختـــير فقيدنا باخرة ، **ليكون مـــع النخبة من علماء العربيـــة** ، يعملون ليل نهار في خدمة اللغـــة ودفعها لتسايرَ ركـــب الحضارة العالمية المتسارعة في خطواتها ، والمتسابقة مع الزمـــن في انتفاضاتها .

وكـــان الفقيد في مجمع اللغـــة العربية مع طائفة قال اللـــه عـــز وجل فيها : (من المؤمنين رجالٌ صدقُوا مَا عَاهدوا اللّـــه عليه فمنهم مَنْ قَضى نحْبه ومِنْهُم من ينتظرُ ومـــا بدّلوا تبْديلا) .

زميـل جديـد :

في يـوم من ايام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعـة المؤتمرات في مجمع اللغـة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة الـى الصف المواجه لمقعـد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيـع من يجلس عليه ان لا يَدع حركة في داخل القاعـة او خارجها تفوتُه . وتتالت جلسات المؤتمـر ، وقد الِفْتُ المقعد عينه ، أُسْرِعُ اليه كلّمـا كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يُجـاورُه .

وفي نهايـة السنينات دخلت قاعة المؤتمـر وجلست على المقعد إيّـاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهـم يدخلون القاعة ، **انتظر صديقا منهم يجاورني فانعم بجواره** ؛ غير انـي فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعـد المجاور ويحتلّه ، دون ان ترفّ عينه نحو مقعد آخـر . كان ربعة بين الرجال، يميل الـى القِصَر ، وما بقي من شعر رأسه قـد اشتعل شيبا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، وتقاطيعُه تنمّ عن جـدّ تُخالطه وَحشة . وكتمتُ ما شعرتُ بـه ، واخذتُ اتظاهر بالبحث عن شيء بين اوراقي ؛ ولم البـث ان ادرتُ وجهي يمنة ، فـاذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عـن ابتسامة ، وبراسه ينحني قليلا وهو يتمتم بكلمات لم افهمهـا ، فَقَدَّرْتُ انـه يحيّيني ويذكر اسمه ، **ووجدت نفسي أردّ تحيّته بمثلهـا** ؛ ثـم رُفعت الجلسة دون ان نتبادل شيئا مـا .

وفي جلسـة اليـوم التالي **كان جـارُ الامس جاري** ، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ أُلقـيَ وفيه دعوة الى شيء من التحرّر في قواعد اللغـة ، تسهيلا لتعميم الفصحى بين الناس . وأُعطِيتُ الكلمةُ للزميل الذي يجاورني ، فوقف يرتجل كلمـة واضحة ، هادئة، متسلسلة الافكار ، ينكر فيهـا دعواتٍ تُرَدَّدُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليـم الفصحى ، مستنكرا التوجّه بأمثالها الى مؤتمرٍ مـا انعقَدَ الا لخدمة لغـة القـرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كـل

دعوةٍ ظاهرُها خدمة اللغـــة ، وما هي في الحقيقة الا من مُعاول هدمهـــا . ورأيتُ نفسي اشارك المؤتمرين ، الذيـــن اعلنوا تاييدهم لتعليق الزميل ، بالتصفيق . ومـــا لبث الزميل ان جلس والتفت نحوي وهـــو يبتسم ابتسامة اشْرَقَ بها وجهه ، فبدا لي انـــه اصبح مطمئنا الـــى جواري .

كـــان ذلك الزميل عالِمَ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه بالامس القريب ، وجاءني نعيُه مصادفة (١) ، رحمه اللـــه واجزل ثوابه .

لقـــد تنالت المؤتمرات ، وتعدّدت فيها الجلسات ، وحافَظَ كـــلٌّ منـــا على مقعده،حتى في اللقاءات خارج المجمـــع ، كان الفقيد كثيرا ما يانس بجواري ويسعى اليـــه . واصبحنا صديقين نتبادل الاحاديث المتعلقة بشؤون المؤتمـــر وبرامج جلساته ورحلاته ، وفي شؤون كثيرة اخرى .

. . .

نبذة عن حياة الفقيد وآثـــاره

فتى ازهري « يَتَدَرْعَـــم » :

وُلِـــد عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها الفكرية ، والوعيُ اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قـــد تيقّظ ، واخذ كثيرون ينادون بالعمل لتصبح « الفصحى » ، لغـــةُ العلم والثقافة ، لغـــة سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلا عن الخاصـــة .

---

(١) ، نعاه لي الزميل الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .

(الفقيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعدنان الخطيب)

والتحـــق الفتى عباس ، كالمئات من لِداته ، بالجامع الازهـــر ، يُحفظ القرآن ويتلقى مبادىء العلـــوم العربية ، على الطريقة الازهريـــة المتوارَثة . وشُعَر عبّاس بحـــبّ للعربية وعلومها يُعْلَق قلبه ، **فاخذ يفكّر في الانتقال الى « دار العلوم »** ، وقـــد شاع بين اقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من أن تنظيمـــا للدراسة في دار العلوم قد **أُقيـــمَ على أُسس جديدة جامعية** ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصريـــة .

مـــا لبـــث عباس ــ على حـــد قول **العالم الاديب الدكتور احمـــد عَمّار** ــ ان « تملّكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فَتَحَوَّل مـــن الازهر الى دار العلوم ؛ واذا بـــه يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لهـا ، على مدى اعوام دراسته في دار العلوم ، مـا اخلفته ولا فاتته عاما » (١) .

واتـمَّ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، متنقلا بـين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعانـا بين معلمي العربية ، **ممـا ساعد على ترشيحه ليكون مدرّسـا في « دار العلـوم »** نفسها ؛ حتىَ اذا ما تحوَّلت الدار الـى كلّية من كليات جامعة القاهـرة ، كان عباس حسن احـد اساتذة العربية فيها ، ومن ثـم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى أن بلـغ سنّ الاحالة على المعاش .

النحـو الوافـي :

اشتهـر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد تَوَّجها اخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة اجـزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مـع رَبْطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد اعدَّه ـ **على حـد قوله** ـ إعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحويـة والصرفية » ، ومناهج هـذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذَيَّلَـه بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعـا وافيـا للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مُغْفِل الضوابط والاحكام التي قرَّرَتها المجامـع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قـدم الفقيد لكتابه « النحو الوافى » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علـم النحو في ذاته ، واثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليـه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضَمَّن هذه

---

(١) انظر الخطاب المجمعي في استقبال عباس حسن . ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمـع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتـاب « رأي في بعض الاصـول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « دستورا » ملزما نفسه باعتماده في التاليف ، موضحا خطته في تجميع مواد الكتاب ، عارضا تاريخ النحو منذ نشاته ، وللشوائب التي داخلته ثم « نَمَتْ على مرّ الليالي ، وتغلغلت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشَوَّهت جماله ، واضعفت شانه ، وانتهت به الى ما نرى»(١).

وشرح الفقيد الغرض الذي رمى اليه من تاليف الكتاب ، وقد استعان « بخبرة طويلة ناجمة ، وتجربة صادقة في تَعَلُّم النحو ، طالبا مستوعبا ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّسا ، فاستاذا ورئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بكلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، سنوات طوالا » (٢) .

ثم أوضح « الدستور » الذي اقام عليه الكتاب ، وخلاصته في المواد التالية :

اولا ــ تجميع مادة النحو كلّه ، وما يتّصل به من الصرف في كتاب واحد ذي اربعة اجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب طلاب الجامعات غاية المناسبة ، مذيّل بقسم مفصّل يلائم الاساتذة والمتخصصين اكمل الملاءمة واتمّها .

ثانيا ــ العناية بلغة الكتاب وضوحا واشراقا وإحكاما واسترسالا .

ثالثا ــ اختيار الامثلة ناصعة ، بارعة في اداء مهمّتها .

رابعا ــ الفرار من العلل الزائفة ، وتعدّد الآراء الضارّة في المسالة الواحدة .

خامسا ــ تدوين اسماء المراجع في المسائل التي تتطلّب الرجوع اليها ، استجلاء للحقيقة او ازالة للوهم .

---

(١) انظر ص ٤ من النحو الوافي .

(٢) انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادسا ـ عـدم التزام طريقة تربويـة معينة ؛ فقد تكون الطريقـة « استنباطيّة » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب مـا يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضـوع .

سابعا ـ تسجيل ابواب النحـو مرتبة ترتيب « ابـن مالك في ألفيّتـه » لشيوعه ومزاياه التي تلائـم العصر .

ثامنا ـ توثيـق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودهـا .

وختـم الفقيد مقدمته بقوله : « واللـهُ ارجو مخلصا ان يجعل الكتاب نافعا لغـة القرآن ، عونا لطلاّبها ، محققا الغاية النبيلة التـي دعت لتاليفه ، والقصد الكريم من إعـداده » (١) .

عباس حسن ناقـدًا :

لـم يكن عباس حسن شـاعرا ، ولكنه كان عروضيًّا ناقدا ؛ كـان شديد التذوّق للشعر، قديمِهِ ومُعاصِرِه ؛ وكـان في تذوّقه هذا ، **دقيـق الملاحظة عميقها ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنّيّـة تكشف مواطـن الجمال والخيال الرائـع** ؛ ساعَدَه على ذلك ذوقٌ بلاغيّ نَمّاه واصّلَه فيه الاطلاع الواسع على الادب العربـي ، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية واساليبهـا البلاغيـة .

اقـام عباس حسن للنقـد الادبي **منهجا علميا** ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من اشدّ المعجَبين باحمـد شوقي ، من الشـعراء المعاصرين ، وعندما اقـام موازنة بينه وبين المتنبـي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهمـا ، كان حُكمُه في القمّة مـن الانصاف . لـذا رايناه ـ كما يقول الاديب الكبير الدكتور احمد عمّار ـ على فرط اعجابه بشوقي : « قد نأى بحبّه ايـاه عن ان يكون باعثَ محاباة ، كما لـم يُضِنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلّـى واجـاد ... » (٢) .

---

(١) انظر ص ١١ من المقدمـة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليـه سابقا .

قـــارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبـي والخيال عند شوقي ، وبين المعاني لدى كل منهمـــا ، مستشـهدا بشـعر منتقـــى من ديوانيهما ، ثـــم ختم مقارنته بقوله :

« ومـــن طرائفه ـــ شوقي ـــ الساحرة اندلسيّته النونيّة التـــي يُمارض بها نونيّة ابـــن زيدون ، والتي أطلقَ فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما شـاءت لـــه القدرة والحرية والبراعة التي اغرَتْه بالجموح حينا ؛ وبهـــذه المناسبة نقول : ان خيال شوقي بـــادٍ في مختلف قصائده،شأن الذيـــن اتيحت لهـــم ثقافته وسياحاته ومُتَعُه ووسائلُ حياته ؛ وقـــد يتجاوز خيالُه حـــد الفَراهة المحمود الى حـــدّ الجموح . وقد يموج الخيـــال في قصائده ويجول ويمرح ، وقـــد يجمح ؛ وشوقي في خياله الهادىء او الجامح خـــيرٌ من المتنبي واقدر ، فكيف بـــه في الخيال الفارِهِ النشيط » (١).

الفقيد في مجمع اللغـــة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شَغَر في مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة مقعـــد كان يحتلُّه المرحوم علـــي بدوي ، **احد كبار اساتذة القانون اللامعـــين** ؛ وفي جلسـة المجمـــع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنـــة ١٩٦٦ ، تـــمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، أحـــد كبار علماء اللغـــة العربية المتخصصين بالنحـــو ، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمـــع .

وعَقَـــد المجمـــع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٦هـ ، الموافـــق ٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضـــاء المنتَخَبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان اولهـــم مؤرخا ، وثانيهم قانونيا ، واما الثالث فكان نحويا ؛ لـــذا كانت من اطرف جلســـات الاستقبال المجمعية ، **لِمـــا جمعته من اصناف الرجال المتباينة بضائعهم** ، اذ كانت بضاعة الاول هـــي : الانسان والمجتمعات ، **بينما بضاعة الثاني** : النظام والدول ، وامـــا ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمـــات .

---

(١) نبذة منقولة من كتـــاب « دفاع عـــن شعراء » **لتوفيق الحكيم** . بيروت ١٩٧٥ .

ووقف الدكتور احمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن ؛ فلم يجد بُدًّا من أن يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحو ، **ذاكرا بعض المُلَح المرويّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم** ، مجتزئا من معابثاته مع صديقه عباس بمُلْحَة « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو اوتار حسه ، وملأ عليه اقطار نفسه .

قلتُ له يوما في احدى ندواتنا الادبية التي نعقدها في امسية محددة من كل اسبوع : ما انا من رجال النحو ، وانما شأني معك شأن ذلك الاعرابي الذي قال :

ولستُ بِنَحْوِيٍّ يلوك لسانُه ولكنْ سُليقيٌّ اقولُ فاعربُ

فقال : يلوك لسانُه ام يلوك لسانَه ؟ فَلُذْتُ بالصمت ايثارا للسلامة ، وخشية التورّط فيما أُقَصِّر عن المباراة فيه » (١) .

على ان الدكتور عمّار ، وهو يتحدّث عما يُسْتَشْعر به الناس من ثقل في النحو ، وعمّا تحفل به الكتب من **افاعيل للنحاة هي بافاعيل الحواة اشبه واشكل** ، استطاع،وهو العالم الاريب،ان ينتزع من زملائه بعض ما بثّه فيهم رهبةٌ من افاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعالِمُنا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو له في هزله ان يصطنع بعض تلك الافاعيل ، فانه **في جِدّه لشدّ ما يستكره ويستنكر كلّ ما يعتور النحو من حِيَل مستثقلات ، وتقديرات تخبايا انيّات ، وإرجاف بخفايا المضمرات** ؛ بل ان حبّه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدلّهه فيه مستهاما به سببا ، واستيقانه انه من اجلّ علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن ان يشنّها حملاتِ صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارَف المعايب ومتناقَل المثالب » (٢) .

---

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور عباس بما جاء في حملات صديقه على من يُلصق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين يفتعلون المُلَح للتندّر والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب « الحيوان » ، للجاحظ ، مستنكرا ، « وهي ان معترضا قال للاخفش : انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تُقَدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ فاجاب قائلا : **انا رجل لم اَضَعْ كُتُبي ابتغاء وجه الله ولا زلفى اليه** ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتُها على النحو الذي تريدونه ، لَقَلَّتْ حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانا غايتي الكسب ، فوضعتُ بعضها مفهوما لتَدْعُوَهم حلاوةُ ما فهموه الى التماس فَهْمِ ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأسِ علوم اللغة ، وعن سمعة النحاة الذين جَمعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا صَرْحَها شامخا ركينا ، كما قال احد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبله اليوم، فقد « **استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ، ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارَى في الانصاف والتقدير بعض زنادقة اللغة** ، لِهَوًى مدخول او حِقد كامن ، او جهالة بقدر اللغة واهلها » . ثم خاطبُ عباس حسن زملاءه طالبا منهم التاسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئسْ علماؤنا بما كان ويكون **من خوارج هذه الايام** ، فتلك شنشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع داخل الصف :

لا يحْسَبَنّ الذين يقرأون مقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ، ان اقرارها **كان سهلا هيّنا** ، فكم من حوار امتدّ زمنا حول قاعدة لغوية او حول مدى التقيّد بها ، وكم من مناقشة حادّة جرت حول إثبات كلمة او حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

---

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسالة من مسائل اللغة ، ، وكم من الوقت استغرقه اقرارُ او رفضُ مقترَح عُرِض على مؤتمر المجمع ؟ !

لعل عباس حسن ، يوم دخل مجمع اللغة العربية ، كان يعتقد بأن عناءه في خدمة لغة القرآن سيُخفّ عما كان قبل دخوله ؛ فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودفعها لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث **ان وجد نفسه وحيدا** امام اعضاء مِنْ دأبِهم التحرّش بالنحو والنحويين ، شأن القدامى من العلماء ، ومنهم من يجاهر بكُرْهِه للمُتون ، ولا يقيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تَعُدْ تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعلّه ، رحمه الله ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم انكروا عليه القول بـ (**تحديث**) اللغة لتساير العصر الحديث ، وهو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن (**علم الحديث**) اذا كان للتحديث اكثر من معنى في المعجم (١) !

التزم مقيدنا في مجمع اللغة بخطٍّ اختطّه لنفسه ، غيرُ مبالٍ بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما **تراه في اقصى يمين هؤلاء مرات عديدة** ، **تراه احيانا في اقصى يسار اولئك** ؛ وليس لك ان تعجب ، لان المقيد ألْزَم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد التي آمنَ بها اسلوبا وحيدًا للحفاظ على اللغة وإنمائها .

وعندما اختلف راي المجمعيّين حول اجازة ادخال لفظه « **مناورة** » في المعجم على احد الوجهين التاليين :

الاول — ان من معاني « المناورة » : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت في المعجم في مادة (**ن و ر**) التي تحمل معنى الخداع والحيلة .

---

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عدد ٢ .

الثاني ـ ان لفـــظ « مناورة » معرب ، ومنقول بدلالتيه الحربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجـــم في مـــادة (م ن ا) .

وقـــف الفقيد مع اصحاب الراي الاول ، ليعلن ان وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثـــل : المداورة والمراوغة والمشـــاورة والمحاورة ، وليس في قواعـــد العربية ونصوصها ما يمنع من ان تدخـــل الكلمة في مـــادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مـــواد (د و ر ، و ر و غ ، و ش و ر ، و ح و ر) فهـــي مثلهن عربيـــة ، وان لـــم تَرِدْ في المعجمات ؛ وكأنه يقول **بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهـــاء ، أمـــا معانيها الحديثة فهي من قبيل المجـــاز المستحدث** (١) .

وعُرِضَت على المؤتمـــر ، في دورته الاخيرة ، كلمة (**التطبيع**) بمعنى (**جعلها طبيعية**) ، كمـــا تردَّدَتْ على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيـــد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنـــع مـــن اجازة الكلمة بالمعنى المذكـــور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هـــذا المعنى السياسي الجديد **رَفَضَتْه الاكثرية عنـــد اعلان التصويت عليه** (٢) .

وعندمـــا وقف بعض المتشددين من المجمعيين ينتقد استخدام الكُتّاب والصحافيين لفظـــة (**تواجَدَ**) بمعنىً لا تُقِرُّه معجمات اللغة ، ثـــار الفقيد **مبرئا العربية من الجمـــود الذي توصم بـــه** ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجَـــدَ) المعنى الذي يريده المعاصرون ، **فمثلها مَثَـــلُ : (تكاثَـــرَ) و (تناسَـــل)** (٢) .

شمائل الفقيـــد ومزاجه :

خَبِـــرْتُ الفقيد خلال عـــدد من السنوات ، بمجاورتي لـــه في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغـــة العربية ، فما عرفت عنه الا رقّـــة

---

(١) انظر المصـــدر السابق .

(٢) انظر المصـــدر السابق .

الشمائل ، مع اقتصاد في المجاملات المتعارف عليها بين الزملاء . كان رحمه الله ، **عفّ اللسان ، صافي السريرة** ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة او مواربة ، او يُصمت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحق انسان فيه انحراف او عنده زيغ .

كان **خجولا** ، لا يجلس الا جنبَ من يأنس اليه ولا يتطفّل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدْعَ اليه ؛ كان هادىء الاعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أُثيرت ، مع كثرة المنغصات .

لم اشعر يوما بِكُرْهٍ يُضْمِره نحو احد ، ولو كان ممن يُكثر الغَمز واللَّمز من النحو او النحاة ؛ وكثيرا ما سمعته يردد جملة (**هداه الله**) .

كان الفقيد ، اذا ما استقرّ به المقام ، نَثَرَ دفاتره واوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُذَكِّره بالمواضع التي عليه ان يتنبّه لموعد عرضها ، فيبدي اعتراضه عليها او نقده لها ، او دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر تُسعِفُهُ بالادلّة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، **وحتى بارقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه** .

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكفُّه مفتوحة تشير دائما الى ان صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يمناه تعبث بالاوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات . وهو يحاول ان لا تفوته كلمة ممّا يدور ، وكثيرا ما فاته الاذن بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة عندما يشعر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ، الا اذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عنيه ، **فكان يرفع يمناه الى اقصى ما يستطيع لينال الاذن بالكلام** ؛ واحيانا كان لا يتاخر عن الوقوف ليعلن انه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

يعتقد صوابه ، شديدا في مهاجمة مـا سمعه او ما يراد اقراره ، مبيِّنـًا وجـه الصواب المتفق مع النصوص ، تاليا لهـا او مشيرا الى موضعها .

كـان الفقيد يحاول ان لا يُرَدّ على زميل من غير المصريين لا يعرفـه ، قبل **ان يميل نحوي سائلا عن هويـة المتكلّم ومشربه** ، كـي لا يتعدّى حدود الموضوع الى البواعث الخفيّـة .

كـان وطيسُ المناقشات يَحْمَى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغـب فقيدنا في الكلام **انتظر الاذن ليبداه . ولـم اره مرّة يقاطع متكلّما** ، علـى كثرة الذين كانوا يقاطعونه ، حتى اذا انهى الراي الذي يريـد ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لتقـراه الاجيال الناشئة ، استراح غـير عابىء بصدى كلامـه عند سامعيه ، وغير مهتمّ براي منكِـرٍ او مستَهْجِن .

كان،رحمه اللـه ، كثيرا ما يغضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، او عـن التقلّصات التي تعلو وجوه بعضٍ آخر ، غير ملتفت الـى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايـدي ، **وفيها البيت او البيتان من روائع « شعر البدائه » غمزا** بالنحو والنحويين . وان أَنْسَ لا أَنْسَ يومـًا وَقَعَتْ بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا بـه يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهـو يقول : **رائع .. ولكن** لـو كان (كذا) بدل (كذا) **لكان القول ابلـغ .**

كمـا اني لا انسى يوما قرأتُ فيه قطعة ادبية صَنَعَها **المرحوم محمـد كامل حسين ، صاحب « النحـو المعقول »** (١) ، فيها تَهَكُّمٌ على النحويين وسخرية بآرائهم وتعقيداتهم ؛ ثـم علمت بأن عباسا ، تغمده اللـه

---

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ — ١٩٧٧) كـان احد عباقرة العلم والادب والنقد ، وكان جرّاحًا ماهرا وفيلسوفا اديبًا ، وناقـدًا يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكـره اساليب النحويين القديمـة وتعليلاتهم ، له،فضـلا عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من اهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريـخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعـات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطّلع عليها ، ولكنه لم يخرج عن قوله :

« سامَحَه الله » .

كان مقبدنا ، رحمه الله ، يُحلِّق في اجوائه منفردا ؛ كانَ أُمَّةً وحده . اجزل الله ثوابه ، وعوَّض العربية خيرا .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنان الخطيب